قال: «نحن لا نطلب من الدول الكبرى أن تقوم بأي تضحية، ولا ان تُقدم على أية خطوة مسلحة من أجلنا، إننا نرجو الدول المستنيرة والانسانية، في أوروبا وأميركا الشمالية أن تساند حركتنا، بفضل حيادها فقط، وتشجعنا بعطفها، فاننا لعارفون كيف نبلغ بقضيتنا المقدسة والمجيدة إلى حسن الختام»[٣]. وقد جاء ذلك في وقت كانت فيه بريطانيا وفرنسا على إدراك تام بأن الحركة العربية القومية لن تخرج من تحت نير الاستعمار التركي إلا منهكة القوى، غير قادرة على الاستقلال القومي. لذا، فقد تحالفت بريطانيا، بشكل رئيسي ومباشر، مع الشريف حسين في الجزيرة العربية، لما تشغله العائلة الهاشمية من مكانة دينية لم تستنفد فرصها السياسية عربياً، وبالتالي فإن الحركة القومية العربية التي عاشت قيادتها بمعظمها، في أوروبا، وترعرعت في مناخ الافكار التحررية، وجدت نفسها ملزمة بالتحالف مع العائلة الهاشمية، عبر «فيصل»، وذلك لتحقيق الأماني القومية؛ هذه الأماني التي سرعان ما أخذت شكلاً عسكرياً تجسد في الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦، وتحت شعار سياسي بارز هو الاستقلال العربي.

وتمكنت الثورة العربية الكبرى، بمساندة انكلترا ومساعدتها وإشرافها، من المساهمة في تحرير أقطار المشرق العربي، وأن تخلق، من ثمّ، فراغاً أمنياً وعسكرياً سرعان ما قامت انكلترا وفرنسا بملئه، رغم المحاولات الطيبة والشجاعة التي قام بها القوميون العرب إبان فترة العهد الفيصلي بدمشق، عبر جمعية العربية الفتاة، وواجهتها السياسية «حزب الاستقلال العربي»، والتي انتهت بإعلان بيان الاستقلال، بعد اجتماع المؤتمر السوري في ٦ آذار (مارس) ١٩٢٠ وإذاعة بيانه في ٨ آذار (مارس) ١٩٢٠ بدمشق. وقد تضمن الاعلان التأكيد على استقلال سوريا بحدودها الطبيعية، والمناداة بفيصل ملكاً دستورياً عليها[٤]، إلا أن هذه النوايا القومية الطيبة قوبلت بالتدخل العسكري الفرنسي، واحتلال مدينة دمشق بعد معركة ميسلون في الرابع والعشرين من تموز (يوليو) ١٩٢٠، واستشهاد يوسف العظمة وزير الدفاع في الدولة المستقلة، التي لم تعش أكثر من أربعة أشهر ونصف الشهر (٨ آذار – مارس، ٢٤ تموز – يوليو).

كان لسقوط العهد الفيصلي في دمشق، وهو التجسيد المادي لفكرة القومية والاستقلال العربيين، من وجهة نظر القوميين العرب، خيبة أمل كبرى «فقد انتشر عقد رجالات الحركة المنظوم، فتفرقوا وحرموا من المجال الحر وجُعلت القضية العربية الواحدة في الأهداف والقضايا مطبوعة بشيء من الطابع الاقليمي والمحلي»[٥].

وفي الواقع، أخذ هذا الطابع الاقليمي والمحلي طابع مواجهة المهام الوطنية والقيام بأعبائها فقد وجد القوميون العرب، كل في بلده، مهمات وطنية مستجدة، في مقدمتها الاستقلال مجدداً عن استعمار حديث فرنسي أو بريطاني، جاء بديلاً لسلفه التركي.

ويمكن القول إن ما واجهه القوميون العرب الفلسطينيون، من مهمات وطنية، كان أكثر المهمات الوطنية العربية تعقيداً وتشابكاً، وذلك بعد أن أخذ الكيان السياسي الفلسطيني شكله، بعد التقسيم السياسي الذي طرأ على أقطار المشرق العربي، وفقاً لاتفاقية سايكس – بيكو، وتكريس هذا التقسيم، بعد أن أقرت عصبة الأمم صك الانتداب